مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189
مجلد: 10 عدد 1 جوان 2019
العنوان:الأنا والآخر بين الحوار والصدام
ص ص 352-378

الأنا والآخر بين الحوار والصدام

جوهر بلحنافي
جامعة معسكر،

djouher.belhanafi@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 23/ 10/2018؛ تاريخ القبول: 2019/04/10

Ego and the other between dialogue and clash

Abstract:

The nature of individual and collective life is drawn between dissonance and rapprochement, that is, the course of life is governed by conflict and contradiction, and this is what history shows in the nature of the relations between individuals and civilizations through the ages The relationship has often led to conflict and war. This is a rift that created a great gap between the ego and the other, especially after the cracking of the world social conditions and the return of control in various and sophisticated forms. At a time when man became a twentieth century for accelerating scientific and technological development, This is one of the motives that made some voices call for the need for dialogue to look forward to to a prosperous future whose structure is a human project with a moral cultural spirit that is contrary to all fanaticism, prejudice and isolationism.

المؤلف المراسل: جوهر بلحنافي
djouher.belhanafi @univ-mascara.dz

Keywords. Dialogue and clash; The ego and the other; Dissonance and Convergence; Conflict; Civilization.

الملخص:

طبيعة الحياة الفردية و الجماعية تتجاذب بين التنافر و التقارب أي أن مسار الحياة يحكمه صراع وتناقض،و هذا ما يظهره التاريخ حيث يتضح ذلك في طبيعة العلاقات السائدة بين الأفراد والحضارات عبر العصور،فتأزم العلاقات كثيرا ما أدى إلى صراع و نشوب الحروب وهذا شرخ ولد هوة كبيرة بين الأنا والآخر،وخاصة بعد تصدع الأوضاع الاجتماعية العالمية وعودة السيطرة بأشكال متنوعة و متطورة ، في وقت أصبح الإنسان قرن العشرين يتسارع فيه من أجل التطور العلمي،والتكنولوجي، وبسط سيطرته الاقتصادية والسياسية مخلفا وراءه فجوة تقود الحضارة نحو الانهيار الذي ينبئ بموت الإنسانية ،وخاصة عندما أصبح الإنسان يتجاوز حرية الأخر بنبذه والإساءة إليه والعمل من أجل تدميره وسلبه ثروته وحقوقه الطبيعية، كانت هذه أحد البواعث التي جعلت بعض الأصوات تنادي بضرورة الحوار من أجل التطلع إلى مستقبل زاهر بنيته مشروع إنساني مفعم بروح ثقافية أخلاقية منافية لكل تعصب وتحيز وانغلاق.

الكلمات المفتاحية: الحوار؛ الصدام؛ الأنا؛ الآخر؛ التجاذب، التنافر، الصراع، الحضارة.

مقدمة:

الحوار فن من فنون الكلام،والمحادثة،وصيغة متقدمة من صيغ التواصل والتفاهم وأسلوب من أساليب العلم والمعرفة،ومنهج من مناهج الوعي،والثقافة،ووسيلة من وسائل التبليغ والدعوة استعماله البلغاء والفصحاء في صناعتهم، وعمدت إليه الشعوب في تواصلها وتفاعلها مع غيرها ممن يحيط بهم،واتخذه المفكرون والمربون أسلوبا ومنهجا في تعليمهم واعتمده،فالاهتمام بالحوار والتعمق الاقتناع به وبدوره في تحقيق الوفاق بين أبناء الأمة الواحدة، وتفاهم مشترك بين الشعوب المختلفة على أساس قاعدة الكرامة والعدالة والمساواة حتى شاع استخدامه على مختلف الأصعدة ،وفي شتى الميادين الثقافية والفكرية والحضارية ، فأصبح أحد الظواهر المهمة للعصر الحالي الذي يتميز بثورة المعلوماتية،والاتصال التي هي إحدى ثمرات العلم المتفجرة عنه، وبوسائل التواصل بين البشر،اتسعت دائرة الحوار وتنوعت موضوعاته بصورة لم تعرفها الإنسانية من قبل .

فما نقصد بالحوار؟وكيف تتجادل علاقة الأنا بالآخر بين الحوار والتصادم ؟

الحوار والصدام الحضاري

الحوار: نوع من الحديث بين شخصين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر،ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب. واعتبر أيضا هو «مناقشة بين طرفين أو أطراف جديدة بغرض تصحيح الكلام، وإظهار الحجج واثبات حق من الحقوق ودفع الشبه ورد الفاسد من الأقوال والرأي « (محمد .راشد. 1994: 11). أو هو مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين وعرفه بعضهم بأنه نوع من الحديث بين شخصين أو فرقين يتم تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر أحدهما بالآخر، فيغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة، والتعصب وهو ضرب من الأدب الرفيع.

يميز المفكرين بين منطق الحوار ولغة الحوار باعتبار «منطق أسلوب يعتمد على التفكير لا على الكلام،ولغة الحوار كلامية تعتمد على معرفة مصطلحات والمفاهيم المستخدمة،بينما المنطق الحوار يعتمد على ملكات التفكير أي كيفية الإدراك الواعي بالمقدمات والمعطيات، لذا يتم التركيز فيه على معرفة الكيفية التي يحلل بها الوعي مسائله».(عقيل

حسن،عقيل. 2004: 18)لأن غايته هي القدرة على بلوغ حل المشاكل الآنية باتفاقيات ...

الحوار أسلوب عقلي،ومعرفي يرتبط بمستويات التفكير الإنساني.»فهو الذي يضفي إلى التفاعل الوجداني بين الأطراف المتحاورة،و يؤدي إلى التقارب والاندماج،وبفعله يذوب فيه الفرد في الآخر تعلقا به، و محبة أو ثقة واطمئنانا « (عقيل حسن ،عقيل . 2004: 18) فهو أساس العلاقات الإنسانية،ذلك أن تفاعل مع الأخر يتطلب ضرورة الإيمان بالحوار كمنهج أساسي وفعال، لتزاوج الأفكار وتبادل الرؤى، وتداول الأطروحات من خلال سماع الرأي الأخر الإصغاء إليه والاهتمام به لتحقيق تواصل علمي ومعرفي،فلا تفاهم بدون تواصل،ولا تواصل ما لم يكن مسبوقا بمعرفة الأخر،فالحوار يمكن من استيعاب المتحاورين لبعضهم البعض،وهذا يتطلب تقدير ثقافة الغير ودينه، وعرفه وعاداته ،إذ لا يجب أن تكون فيه نظرة دونية فالحوار يتطلب تفهم الآخر،حيث يقبل كل طرف للآخر بكل ظروفه حتى يتم التواصل والتفاعل الاجتماعي والإنساني، إذ لا يمكن الحديث عن التفاهم بين الحضارات ما لم يتم التخلص من المواقف التي تحاول تهميش الأخر،وازدراء بثقافته، وعدم الاعتراف بفضل ثقافته فالحوار

أصبح ضرورة تفرضها الوقائع الاجتماعية والدينية والسياسية الحالية المتأزمة،والمتصارعة التي تعج بالحروب والتكالب على ثروات الدول المستضعفة، فإن غاب الحوار غابت معه الحقيقة وإن غابت عنها الحكمة،وآداب التحاور غاب معها التآلف وظهر التصادم والصراع ، فبدلا أن تكرس مبدأ المحبة والتفاهم بين البشر تقرع طبول الحرب، وترسخ الكراهية، والتنافر، والتعصب بين البشر.

طبيعة صراع مع الآخر:

إذا كان الحوار يقتضى النقاش وتبادل الأفكار والآراء إلا أن الحياة الإنسان فيها كذلك صراع، والصراع ليس وليدا لهذا العصر وإنما قديم قدم البشرية، ولا يمكن ربطه بالغزوات أو بالحروب فحسب بل تتزاحم وتتشابك فيه الآراء والمواقف.

فهو طبيعة إنسانية بحيث قد تعيش نفس الإنسان صراع، وقد يكون أيضا وليد الاختراع أو التفكير والتفلسف بحيث يتضمن صراع وهذا لا يعرف نهاية»فالبشر من صفتهم الأنانية وحب التمركز الانفرادي الأحادي».(جعفر حسن.عنتر بسي.2004 :08.09) و التاريخ لا يعرف أبدا اضمحلال للتناقضات الدولية، فبقايا ومخلفات النازية والسلفية الأصولية والفاشية لا تزال تتحكم في تيسير شؤون وقوانين الحياة

السياسية، والإنسان الغربي الذي تطفو على شخصيته ميزة حب الذات، وأنه صاحب التقدم الأول والوحيد،يصف الجنوب بالركود وهذه الصفة قد يصعب تغيرها،لذلك»إن نهاية التاريخ تمثل الوجه الثاني للمركزية الأوربية التي قوامها السيطرة على العالم وتأكيد على تهميش الآخر، ورفض المعادي لها. « (قاسم .حجاج.2003 :200)

صراع ناتج عن تشنج العلاقات الدولية:

لقد خلق انهيار القطبية الثنائية تغيرات جذرية في مضمون ومصادر الصراعات بهدم قوانين الاستقرار، أي لم تعد هذه القوانين تتكيف وفق مخلفات الأزمات،وهذا ما أدى إلى فقدان الليونة وشدة التعقيد خلقت صعوبة التغلب عليها والتعايش مع مستجدات وقائعها.

فقدان السيطرة الإيديولوجية وما تبعه من تغير اقتصادي وظهور أزمات يعد من عوامل أساسية لظهور الصراع ،إضافة إلى تزايد تيارات العولمة وتوسيع التكتلات التجارية التي أصبحت أداة رئيسة لإدارة الصراع ،فهي ترتكز على المصلحة بين الدول العظمى وتتحرك انطلاقا من دفع التميز ضد الآخر، لذلك زاد انقسام بين الشمال المتقدم والجنوب المتخلف الذي لا يزدد إلا تفاقما وتأزما وتخلفا، لذا تعمقت الهوة بينهما ، فالعالم الآن يعيش حروب اقتصادية تولدت نتيجة اكتساح

وغزو الأسواق والتكنولوجيا والتسلح واستغلال الثروات دول المستضعفة، كل ذلك كرس لتلك الحروب التي يعيشها العالم الآن.

كما أن نهاية الحرب الباردة كرست لنزاعات الدبلوماسية الإستراتجية في الحقل الدولي انطلاقا من هذا الاندثار لمفهوم القوة العظمى ...فالبحث عن القوة العسكرية أصبح أداة لتكون أساس لتبرير القوى الاقتصادية. وهذا ما جعل بعض المفكرين يشرعون في رسم مستقبل العلاقات الدولية،ومن ذلك أطروحة صدام الحضارات لصموئيل هينتغتون. « و نظرية الفوضى الخلاقة التي تدعو إلى إغراق الجماهير في اللانظام وهذا ما ذكره ليو شتراوس احد أساطين المحافظين الجدد بالدعوة إلى تحويل مناطق واسعة من العالم إلى مناطق غير مأهولة فبالنسبة لمنظري «الفوضى البناءة» «يجب سفك دماء من اجل الوصول إلى نظام جديد في مناطق الغنية بالثروات». (سمير.عبد الله حسن.والآخرون.2014 :258).

صموئيل هينغتون و نظرية صراع الحضارات

أثار صموئيل هينتغتون المفكر الاستراتجي الأمريكي جدلا ونقاشا كبيرا بعد نشره لمقال «صراع الحضارات « سنة 1993بمجلة الشؤون الخارجية .Forgien(affaires) ،ثم حولها إلى كتاب 1996 حيث طور

نظريته،إذ قدم في كتابه صراع الحضارات و إعادة بناء النظام العالمي نظرة تطلعية للسياسات العالمية لما بعد الحرب الباردة أي حاول تشخيص لواقع الصراع العالمي الراهن برؤية جديدة تتضمن في جوهرها مغزى استراتيجي مكثف،وحاول التعمق في تفسير السياسيات لمرحلة ما بعد حرب الخليج الثانية ،فكان تبني فكرة الصدام الثقافي أمر حتمي لتجديد أوجه الصراع المتحكم في سير العالم.فأزمة الخليج خلقتها تحولات الكبرى لما بعد 1989/ 1990حيث حددت «العلاقات ما بين الشرق والغرب وفعالياتها في ظروف الأمن فالهجرة والتصادم بين الهويات الثقافية المتنافسة أصبح أمرا ملحا وحاسما في بناء المستقبل « (المهدي المنجرة.2004 : 29.28).

مع بداية التسعينات ظهر «ما يسمى بلانظام الدولي الجديد الذي يعني خروج المبادئ،والمفاهيم التي تضبط مسار العلاقات الدولية عن المسار الطبيعي لها ،وهذه المرحلة تميزت بالانفجارات القومية والحروب الأهلية الدينية الطائفية في العالم» (اندرو. باسيفنتش. 2004: 43.44)

يقول صموئيل هينتغتون:» أن أكثر الصراعات انتشارا و أهمية وخطورة لن تكون بين طبقات غنية وفقيرة،أو جماعات أخرى محددة على أسس اقتصادية،ولكن بين شعوب تنتمي إلى هويات ثقافية مختلفة»

(صموئيل.هينتغتون.1999: 14)ورأى أن الصراعات والحروب في الماضي كانت تقوم بين دول مستقلة أما الصراعات في المستقبل فسوف تقوم بين حضارات مختلفة وعلى أسس مغايرة، فلن يكون مصدرها ايدولوجيا واقتصاديا، فالإنقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية أي مصدرها ثقافي،لقد استقطبت نظريته هذه أنظار السياسيين وخاصة فكرته التي تقول بان الحضارات العالمية أو الكونية الأساسية هي الإسلامية العربية والبوذية، والكونفوشسية والإفريقية وهذه سوف تواجه الحضارة الغربية الرأسمالية، ولابد من فرض سيطرة الحضارة الغربية في صراعاتها الثقافية والدينية والعرقية مع هذه الحضارات العالمية.وقد ركزت نظرية هينتغتون بشكل خاص على الإسلام والحضارة العربية الإسلامية، فاعتبرها المشكلة الأساسية حيث وقف منها موقفا متشددا ،ورأى أنها تقود إلى صدام حضاري عميق مع الحضارة الغربية،وأوصى بضرورة التحسب للإسلام، إذ رأى انه على الرغم من وجود القليل من القواسم المشتركة بين الحضارتين الإسلامية والصينية، فالعداء المشترك للغرب يخلق مصلحة مشتركة بنيهما.

«ورغم أنه حاول الإشارة إلى فرضية قيام حضارة عالمية مستندة إلى التقارب الثقافي بين حضارات متمايزة في قيمها وتوجهاتها

وممارساتها إلا انه كان يحبذ أفضلية الحضارة الغربية التي تشكل الولايات المتحدة محورها.» (سمير. عبدالله حسن. الآخرون.2014 :280)

الصراع الأديان :

عودة صراع الأديان تبقى محل جدل،هناك من يرفضها باعتبارها غير مقنعة لفهم رهانات العالم، رغم ذلك فان الدين لازال يشكل عنصر أساسي لثقافات وحضارات،وهذا ما عبر عنه المفكر جيل كبيل Gilles Keplerالذي يرى أن ظهور التوجه الديني الجديد لم يرمي إلى التكيف مع العلمانية، بل استعاد أساس المقدس لتنظيم المجتمع ولو عن طريق تغيره،وإن اقتضى الأمر استخدام طرق متعددة،وقد أيد هذا التوجه عملية الانصراف عن الحداثة التي أخفق في تنفذيها مما أنتجت انتكاسة الحداثة وموتها إلى بعد عن الله،وبهذا طرحت المسألة إعادة أوروبا إلى الإنجيل،وطرحت هذه الإشكالية لدى المسلمين كذلك غير أنهم لم تعالج إلا من زاوية النظر في تحديث الإسلام ،وإنما في أسلمت الحداثة أي بإخضاع التطورات إلى الإسلام «فهذا الإحياء الديني احتوى في جزء منه انتشار أوسع للأديان التي أحاط بها أناس جدد في بلدان لم يكن لها فيها انتشارا فعادوا إلى التعاليم الدينية بإعادة تنشيطها لإكسابها معاني

جديدة...لذلك تغيرت عن نهجها، وظهرت فيها حركات أصولية ملتزمة بتطهير التقاليد والعادات الدينية حيث عملت على تأسيس سلوك شخصي اجتماعي بما يتفق وهذه العقائد الدينية،وبالتالي عملت على إعادة صياغة الثقافات القائمة». (صموئيل .هينتغتون.1999 :114) فهذه الصحوة الدينية أحدثت تغيرا اجتماعيا، واقتصاديا وثقافيا،وهو الذي عرفته هذه المجتمعات،وكانت من أهم أسبابها تمزيق مصادر الهوية،وأنظمة السلطة ،فهذا التغير السريع خلق الفوضى..

تصاعد الإسلاموفبيا في الغرب

وانطلاقا من اعتبار الحضارة الإسلامية مرشحة لبداية صدام بين الحضارات،وهذا ما روجت له وسائل الإعلام بنشرها الأكاذيب والكراهية للإسلام بصفته يمثل الانغلاق و الإرهاب ،باعتبار» إن الإسلام دين سيف،وانتشر بالقوة ،كما أنه يعظم القيم والفضائل العسكرية العنيفة ،ذلك أنه نشأ بين البدو والمقاتلين إضافة إلى أن الرسول قد شارك في المعارك وكان قائدها الماهر،وبالتالي اعتبر الإسلام هو بؤرة الصراع والصدام الحضاري» (محمد نمر. المدني. 2001 :20) و لهذا «فإن هينتغتون يريد أن ينتهي بعالمنا إلى حالة صراع...انه يسعى إلى تأجيجا لمشكلة بين الغرب واللاغرب، فهو يشير بوضوح لمعركة مع

الإسلام» (محمد.سعيدي.2006 :20) فالكثير من الدراسات تتوقع تغير خريطة العالم،وخاصة العالم العربي الإسلامي،الذي يعتبره قطعة أساسية لما يتميز به من ثروات طبيعية...بالتالي اعتبر العالم الإسلامي إمبراطورية شر جديدة (على حد تعبير أركون)وجب مواجهتها على حد تصور الغرب.

صراع حضارات وتأثيره على الواقع السياسي :

إن الحدود السياسية وإيديولوجية الناتجة عن نهاية الحرب الباردة اعتبرت منبع الأزمات والنزاعات العنيفة، فالاختلاف في الثقافة والدين والقوة العسكرية والاقتصادية أدى إلى اتساع الهوة بين الحضارات، وما يميز هذه الصراعات هي حدتها واستمراريتها إذ تعمل على إعادة تأجيجها وتصعيدها لانفجار الأزمات والحروب الحضارية المستقبلية إلى الحدود الثقافية التي تعد الفاصلة بين الحضارات، حيث تدخل تحت إطار السلام تحت تسميات مختلفة (الحرب التجارية، السلام الصعب، التعايش التنافسي ،سباق التسلح) «يتخذ ذلك صورتين:المستوى الضيق حيث تتصارع فيه مجموعات متجاورة أو في دولة واحدة بين أفراد مختلفي الثقافة... أما على المستوى الواسع صراع الدول العظمى حيث تتنافس على الصعيد العسكري من أجل الهيمنة على المؤسسات

الدولية،كهيئة الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي» (تامر كامل .الخرجي.2004 :173)وبالتالي تكون صاحبة اتخاذ القرارات المهمة، وتستخدم في ذلك وسائل سياسية وإغراءات الاقتصادية وإعلامية دعائية وتعسفية لتحقيق أهدافها حيث لا تستعمل فيها القوة إلا للضرورة، وتعد وسائل الإعلام والاتصال من أخطر وسائل في إدارة أساليب الفتنة والنزاع حيث ساهمت في زيادة الحدة الصراع التي توظفها الدول العظمى.

فالحالة الراهنة بما فيها من أحداث عاصفة وخاصة بعد نهاية الشيوعية وتنامي الفكر السياسي بعد موجات السباق نحو التسلح وبسط السيطرة العسكرية والاقتصادية والسياسية على العالم بعث على التغير في أنظمة العالم السياسية العسكرية،دفع إلى تحول أنماط التفكير سعى من خلالها بعض المفكرين والساسة ورجال الدين إلى تقديم أفكار تدعو إلى النقاش والحوار والصلح خلافا لرأي كل من فوكوياما وهينتغتون الداعي إلى إعطاء الزعامة لأمريكا واعتبار الإسلام هو الخصم،فتكهنهم بالصدام الحضاري والثقافي ونهاية التاريخ مجرد نظرة تشاؤمية لا ترتكز على أي قاعدة بل هو ذريعة للتدخل السياسي في سيادة بعض دول

وفرض هيمنته عليها فالحضارة تحتاج إلى البناء والسمو،و السلام وليس لخراب، ولكن ما السبيل إلى ذلك؟

فالعالم يشهد تحولات وتغيرات متسارعة تتطلب فهم ومتابعة ناقدة للعالم بدراسة ظواهره الثقافية وأزماته السياسية، التي تتشابك فيه العلاقات الدولية وتصبح الحاجة إلى خلق تفاهم وحوار متبادل بين الثقافات أو الحضارات ضرورة،على حد رأي علي حرب أن الآخر هو قدرنا والأنا تبنى بالعلاقة مع العالم ،والوعي بالذات يمر بالآخر.

فالنهوض أو البناء الحضاري بتجاهل الآخر أو بتجاوزه لا يفيد فالأخر هو الذي يحقق لنا مناعة ووقاية حضارية ذلك أن»للحوار بعد إنساني واجتماعي قيمي يضمن إنشاء جيل متوازن وايجابي متفاعل مع مجتمعه ومحيطيه وعالمه بتحريره للأفراد من الخوف والتردد،وللآخرين الذين يعتبرونهم مختلفين عنهم يكتسبون الروح الإيجابية للمنافسة،وللترجيح بين الآراء» (أشرف .حافظ.2009 :69) فالتربية القائمة على الحوار تكسب الفرد الكثير من التكوينات الإيجابية كالإبداع ،كما يجعل منه متحاورا جيدا في النقد ولقبول النقد دون انفعال في التعامل مع الآخر، وبذلك تستطيع الأنا أن التعرف على الصورة التي يراها الآخر مقابل الأنا الذاتية، فلما تلبس الحضارة لباس الحوار

تكتسب دلالات جديدة،لأن الحوار يثري الثقافات الإنسانية ويساهم في نشرها وسموها،حيث تبرز صيغة تفاعلية متنوعة لما يحدثه قبول الآخر بإتباعها، فبدونه تكون ثقافة هذه الحضارة استبدادية فيحدث عدم توازن يؤدي إلى التصادم بين الأفكار والمعارضة التي ينتجها التعصب تدفع إلى النزاع ... فالحوار يساعد على التغلب على العنف والتطرف وابتعاد عن التحجر الفكري.

فتعايش الحضارات ضرورة إنسانية يجب إنتاجها وقبولها كصفة لكل المشكلات، والتوترات،والنداءات السياسية،والفكرية والثقافية والاجتماعية رغم أن «الغرب يسعى إلى زيادة الربح لا لبناء حضارة، فالحضارة أساسها التنمية البشرية وهذا الحد الفاصل بين الغرب وباقي الأمم الأخرى، إذ يجعل من الحوار أمرا صعبا لأنه لا يحقق ولا يساير غاياته» (.إديت سيزو. 2003 :35)

روجيه غارورديو حوار الحضارات :

فيلسوف الفرنسي (روجيـه غارودي) في كتابـه «من أجل حوار بين الحضارات» يقدم فيه نقـدا لحضارة الغرب وتاريخ علاقـتها بالأمم والحضارات الأخرى، فمن خلال هذا الكتاب يتعرض لبواعث تعزيز الحوار بدلا من الصدام،ويدعو الغرب إلى إعادة النظر في الذات والآخر

الحضاري،بل دعاه إلى الاستفادة من الحضارات الأخرى في بلورة مشروع الأمل لديـه، الذي عبر عنـه في كتابـه.بقوله.. بهذا الحوار بين الحضارات وحده يمكن أن يولد مشروع كوني يتسق مع اختراع المستقبل.

الممارسات الغربية وخديعة الحوار

وفي هذا الكتاب يستعرض روجيه غارودي تاريخ الغرب ومستقبله انطلاقاً من تناول جرائم الإنسان الأبيض بغية إعداده لنظام عالمي جديد بدءاً من حوار مع حضارات آسيوية والإسلامية وأفريقية وأمريكا اللاتينية،وفي كتابـه «من أجل حوار بين الحضارات» نقـد حضارة الغرب و سلوكها وعلاقـتها بالأمم والحضارات الأخر، كإبادة الجماعية لهنود أمريكا، نخاسة الزنوج التي أفنت مائة مليون من الأفريقيين، الهوة الإنسانية بين الشمال والجنوب، جهل الثقافات والحضارات اللاغربية.

كما كشف عن الوهم القائل بأن الغرب وهو وحده مبدع القيم الإنسانية،فهولا يعدو أن يكون شبه قارة ضئيلة تابعة لآسيا و وسيط متواضع في خضم الحضارات العريقة التي كانت منذ آلاف السنين. إن ما تناوله روجيه غارودي في حوار الحضارات ، يتمم بحثه عن دروب

جديدة يراد شقها أمام الإنسان في السياسة، أي أمام التاريخ الذي لا يزال في حيز المخاض،وهذا ما تطرق إليه من خلال كتبه ولا سيما في(كلام رجل ومشروع أمل).

وعبر عن ذلك برأيه أن حوار الحضارات الحقيقي ليس بجائز إلا إذا اعتبرتُ الإنسان الآخر والثقافة الأخرى جزءاً من ذاتي، من كياني، يكشف عما بي من قصور، ولا يمكن أن نحل المشكلات التي نضطلع بمسؤوليتها إلا بلقاء جديد وحوار مع ضروب الحكمة والتمرد القائمة في آسيا وإفريقيا والبلدان الإسلامية وأمريكا اللاتينية وبهذا وحده يمكننا التوصل إلى أن نتصور ونحي علاقات جديدة أعنى بين البشر والطبيعة وبين البشر بعضهم لبعض بالطبع.وبهذا فهو يعرض فكرة حوار الحضارات أوالثقافات العالمية بجعل لهذا المشروع شروط موضوعية استمدتها من الوضع الراهن الذي يعيشه الأفراد في مختلف أنحاء العالم فمنها العوامل الجغرافية، الدينية السياسية، والبشرية «فهذه العوامل تساهم بشكل طبيعي وغير مخطط له أي هو فعل غير إرادي لتتداخل الثقافات فيما بينها» (محمد عابد.الجابري.2007 :66).

فمن سمة الحضارة أنها قابلة للتكامل،فالآخر ليس وليد الحاضر وفقط،،وإنما هناك مرجعية تاريخية تظهرها المصادر التراثية القديمة فتزكية

الإنسان تحتم عليه أن يكون الكائن الواعي المتجدد الذي يمزج بين الماضي والحاضر لتأسيس المستقبل لأنه، ليس من لاشيء وجد أومن عدم ،فكل ثقافة إلا وتكون لها سوابق وأرضية انطلقت منه، فمن خلال ما هو سائد نستنتج بطريقة عقلية فاحصة أن لها رصيد في الماضي رغم التشويه الذي يشوب المصادر التاريخية من قبل المدونين له الذين تطغى عليهم الأنانية التي تخل بمبادئ العامة للتاريخ «فالتاريخ ليس مجرد سرد ووصف للأحداث بقدر ما هو أداة ووسيلة فعالة في خدمة وهيكلة المشروع الكوني الذي يتطلب الحوار الحضاري الحقيقي بمعناه الثقافي الشامل» (عبد الله علي.العليان.2004 :191).

وهذا يجعل مبدأ الاعتراف بالآخر هو الأساس. فقد تحدث غارودي على تجربته الخاصة كانسان ومحاولا أن يكون موضوعيا قائلا: إن"الحوار الحقيقي هو الحوار الذي يولي الاهتمام بالإنسان الآخر،والثقافة الأخرى ويجعلها جزء من ذاته الصغيرة (أناه المحدودة) فيغمر كيانه ويكشف له عما يعوزه،لأن المشاكل لا تحل إلا إذا فهمنا فكر الآخر». (روجيه .غارودي.. 1999 :156) أنه يرى بفكر الآخر تكون لنا نظرة نقدية فاحصة ودقيقة تمكننا من تجاوز العوائق»ولتكوين علاقات جديدة تساعدنا من التقارب بين البشر، كما تساعدنا على تسخير كل

شيء لخدمة هذا المشروع الكوني،لذا وجب الإحاطة بالثقافة اللاغربية لأهميتها وفائدتها،وهنا هو يقصد هؤلاء الغربيين الذين يعتبرون أنفسهم هم مركز ،فالتقوقع والانحصار على الثقافة الواحدة ليس بكافي لتحصيل العلم والفكر الواسع ،لأنه لا يمكنه خدمة الإنسان ولا علاقة له بالمستقبل والتحضير له رغم الازدياد في التطور والتقدم الغير الواعي. « (روجيه .غارودي. 1999 :157) وهذا لأنه لا يهتم بمجال مهم جدا وهو علم الجمال الذي يعتبره من ضرورات الحياة ،فغيابه ولد اللامبالاة بالطرف الآخر،لذلك فهو يدعو أن يشغل علم الجمال مكانته مثلما تحظى العلوم والتقنيات أهميتها في التعليم والمجتمع .

ذلك أن العلم والتقنية تخدم بشكل أساسي السياسة الاستعمارية الحالية التي تؤجج الصراع الذي تحكمه دوافع وخلفيات إستراتيجية واقتصادية وإيديولوجية هي التي تقف وتقود إلى مرحلة استعمارية شرسة جديدة بتوظيف مبررات لتنفيذ خططها الجديدة، كالمخطط الاستعماري الأمريكي الجديد الذي أخذ مشروعيته من أحداث **11**سبتمبر التي تسعى إلى سيطرة على طرق التجارة البرية الجديدة عبر آسيا واليمن... وتولى الإعداد له واستكمل رؤيته جورج بوش الأب والابن وغيره...

حوار الحضارات الذي يدعو له لا يهتم بشكل أساسي بأمور الدين (العبادات والعقائد) بل يختص بالقيم والتقاليد الاجتماعية كحقوق الإنسان، المرأة، الطفولة... لأنه يهتم بالأمم والثقافات المختلفة للبشر فلا يقتصر على أهل حضارة ذات ثقافة واحدة،فالغرب يجعل من نفسه المستضعف والمهدد من الطرف الثاني الإسلام ،لذلك فهو يقوم بكل ما هو ضار له بحجة أنه العدو الدولي،فالغرب هو المركز والإسلام هو الإرهاب .لذلك تعمل الفئة من الساسة المفكرين على تبرئة الوطن الإسلامي من تهمه باسم الإنسانية وحقوق الإنسان،وأن العالم الإسلامي ليس هو مصنع لصراع ،ولم يتخذ العنف منهجا له ولا مدخلا لفكره أو رمزا لثقافته، فالثقافة العربية عرفت برحابة إنسانيتها رغم أن واقعنا الآن يمثل بالنسبة للغرب مستودعا لإفراز التطرف والعنف نتيجة التخلف والجهل المسيطر على المسلمين حسب وجهة نظره مع»أن ذلك التطرف والصراعات التي يعرفها العالم العربي تحركها مصالح مادية هدفها خلخلة نظام الكون « (عبد الله. التطاوي.2005 : 137.136) لذا فالحوار يقودنا إلى تجاوز النظرة المتشائمة و وضع حد لتنافس من أجل التسلح الذي يتحمل العلم مسؤوليته حتى يتجاوز الهدم إلى البناء.

وهنا نجد طه عبد الرحمن ينظر إلى مفهوم الحضارة وعبارة حوار الحضارات على أنه مفهوم مشوش وملتبس، فهو قد يستعمل في بعض الأحيان كمرادف لحوار الثقافات، كما أن مفهوم هذه اللفظة لابد أن يقوم بفعل أمرين هامين وهما وجودهما بالزمان ونهوضها بالفعل التاريخي على أعمق وجه وجودها بالمكان،وهي نهوضها بالفعل العمراني على نطاق أوسع،غير أن هذا لا ينطبق إلا على حضارة واحدة وهي الحضارة الغربية،فالحضارة الإسلامية لا نجد لها أي نهوض في القطاع العمراني، ولا تصنع التاريخ، وعليه فإن الحوار لا يمكن أن يكون بين جانبين أحدهما حضارة مشهودة و هي الغربية و الأخرى حضارة غائبة عن الثقافات الأخرى، كما يتسآل كيف يمكن أن يسود الحوار في ظل عالم يسوده الإرهاب، ذلك أنه يرى أنه لا حوار مع التفرد الحضاري لأن التفرد هو نفي للأخر،ونفي الأخر أو الغيرية هو نهاية الحوار، كما أن لا حوار مع الإرهاب،لأن الإرهاب عنف ،والعنف هو نقيض للحوار.

واعتبر طه عبد الرحمن» أن التوحد الحضاري والإرهاب سوف يقضى عليه لا محالة ،ولكن الواقع إن إرادة بقاء التفرد الحضاري هي

الأصل،والذي يزعم فتح باب الحوار من أجل القضاء على الإرهاب هو نفسه يسنده لإبقاء تفرده الحضاري» (طه .عبد الرحمن.2013 : 183).

الحوار والاعتراف بالتعدد والاختلاف (من الصادم إلى التآنس)

يرى طه عبد الرحمن أن سبب أزمة هي انسداد التعددية في واقع العولمة، وعدم قدرتها على الاعتراف بالاختلاف،وما يقصد بها هي الحقوق الكاملة لهوية الفرد الثقافي غير الغربي،رغم أن القوانين والمواثيق الدولية العالمية التي تشرعها،إلا إن الحوار يغيب إذا ما غاب الاعتراف بالاختلاف والتعدد،مما يجعل الحوار ضرورة وحاجة للحياة، فالحوار في نظره لا يمكن أن يوجد إلا إذا تواجد الاختلاف حيث يقول :» أينما وجد التعدد طرحت الضرورة لقيام الحوار وهذا لإسهامه في تقليص مسافات الخلاف» (طه.عبد الرحمن 2007: 20)،فالصراع الحضاري أحال العالم إلى حلبة لاستعراض القوة والهيمنة وزعزع الاستقرار والأمن،فالعالم يتطلع إلى تنظير لممارسة قيم كونية تنقذه من دوامة العنف حيث يملأ الفراغ الروحي الذي خلفه الفكر المادي،وهذا لا يكون إلا لما يصير الاختلاف قناعة تحترم فيها الحرية،وينبذ فيها كل آفات الحوار(من فرقة ،وعنف وخلاف.) وهذا ما اقترحه كذلك روجي غارودي لتحقيق حوار حضاري لما جعل الاحترام المتبادل عنصر أساسي في حوار

الحضارات، وهذا بنظر إلى القيم المشتركة بوصفها الجامع بين البشر والاختلاف سنة كونية وضرورة إنسانية لأن «هذا الاختلاف هو اختلاف في النوع لا اختلاف تضاد » (عمار. جيدل :2003 .61) والحوار القائم على هذه الخاصية يتغلب على المعوقات والصعوبات التي تحول دون قيام التفاهم الدولي.

الخاتمة:

ما يمكن استنتاجه أن تحقيق الحوار يتطلب نبذ التعصب بكل أشكاله وقهر نزعة أنانية وحب التملك والسيطرة لدى كل طرف أي يجب أن يتأسس على روح التسامح والانفتاح على ثقافة الأخر بدون نظرة استعلاء وهيمنة، فالصدام هو الخراب والدمار، وإفساد البناء وقد كان التاريخ شاهدا على تدمير الحياة الاجتماعية والقيم الإنسانية في مختلف العصور في حالات الحروب، فكلما غاب الحوار غابت معه الحياة وتولدت العدوانية التي تؤدي إلى النزاع... وما تتبعه من فوضى وظلم وقهر... لذلك وجب إقصاء النزاع من حياتنا، وهذا لن يكون إلا بتدعيم الحوار بالمبادئ الروحية الأخلاقية التي تكرس التسامح و الاحترام واعتراف بالأخر في ظل الاختلاف الحضاري ذلك أن الحوار

يبقى ضرورة حتمية تجعل من المجتمع العالمي أمة واحدة، حيث يكون الآخر طرفا مكملا لأفكارنا وأهدافنا.

المراجع:

1/ أشرف .حافظ . 2009.إيديولوجيا النظم السياسية والإسلام. ط1.عمان.دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع .

2/ .إديت. سيزو. (2003). مالا تقوله الكلمات، بعض الطرق للحد من سوء تفاهم الثقافات .تر.خليل احمد خليل.ط1. بيروت .دار الفارابي.

3/ اندرو.باسيفنتش . 2004 الإمبراطورية الأمريكية. ط1. لبنان تر.مركز التعريب والبرمجة الدار العربية للعلوم.

4/ المهدي.المنجرة. 2004.الإهانة في عهد الميغا امبريالية.ط3. الدار البيضاء.المغرب.المركز الثقافي العربي.

5/ جعفرحسن.عنتربسي. 2004. حوار الحضارات والتصادم الأممي. ط1. لبنان.دارا لهادي للطباعة والنشر والتوزيع.

6/ روجيه.غارودي. 1999 . حوار الحضارات. تر عادل العوا. ط1. بيروت عويدات للنشر والطباعة.

7/ سميرعبد الله. حسن والآخرون. 2014 . دمشق .الفكر السياسي الحديث والمعاصر.منشورات جامعة دمشق مركز التعليم المفتوح .قسم العلاقات الدولية والدبلوماسية

8/ صموئيل. هينتغتون.1999.صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي تر.أبو شهيوة مالك عبيد.و خلف محمد محمود. ط1 . بنغازي ليبيا .الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان .

9/ طه .عبد الرحمن 2013.الحوار أفقا للفكر. ط1، بيروت. الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

10/ طه.عبد الرحمن. 2007.في أصول الحوار وتجديد علم الكلام . ط3 . الدار البيضاء.بيروت المركز الثقافي العربي

11/ عبد الله علي.العليان . 2004. حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين رؤية إسلامية. ط1 . بيروت. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

12/ عبد الله. التطاوي.2005.الحوار الثقافي.مشروع التوصل والانتماء. دط.القاهرة.الهيئة المصرية العامة.

13/ عقيل حسين. عقيل . 2004 . منطق الحوار بين الأنا والأخر. ط1 . بنغازي.دار الكتاب الجديدة المتحدة

14/ قاسم.دحجاج . 2003.العالمية و العولمة نحو عالمية تعددية وعولمة إنسانية ط1. غردية .الجزائر.نشر جمعية تراث

15/عمار. جيدل .2003.حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في تأسيس للتوصل الإنساني. ط1.الأردن .دار الحامد للنشر والتوزيع

16/ محمد عابد. الجابري 2007.ليس في ثقافتنا مفهوم للآخر،حوار الثقافات شعار ظرفي. الغيرية .الأخر مقولات التحاور وإمكانات اللقاء.ايس.فضاء للعقل والحرية

17/ محمد.سعيدي. 2006. مستقبل العلاقات الدولية من الصراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام مقالات مختارة لصموئيل هينتغتون. دط، المغرب. إفريقيا الشرق.

18/محمد. راشد. 1994 .فنون الحوار والإقناع. ط1. بيروت. دار بن حزم.

19/ محمد نمر. المدني . 2001.عداء الغرب ،فكر العالم الجديد. ط1 دمشق. دار مؤسسة رسلان لطباعة والنشر والتوزيع.